

هل كان ايرفنج كريستول من المحافظين الجدد؟

جاستين فاييز

مركز بروكينز

1 أكتوبر 2009

Was Irving Kristol a Neoconservative?

By Justin Vaïsse

Brookings Institute

ترجمة: علي الحارس



جاستين فاييز

باحث أساسي (فرنسي الجنسية) في مركز بروكينز.

أستاذ في كلية الدراسات العالمية العليا في جامعة جون هوبكنز. مستشار سابق في قسم التخطيط السياسي في وزارة الخارجية الفرنسية.

يصدر له قريبا كتاب (المحافظون الجدد... سيرة حركة).

في أبريل 1991، وبعد نهاية حرب الخليج، مارس الرئيس العراقي صدام حسين اضطهادا وحشيا تجاه الكرد والشيعة الذين كانوا يستجيبون لنداء الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب الداعي إلى إسقاط صدام. وبينما كانت أمريكا تقف موقف المتفرج، استخدم صدام مروحياته العسكرية لضمان استمرار نظامه الدموي. وعلى الرغم من أن الكثيرين في أمريكا اعترضوا على قرار البيت الأبيض، قدم أحد مراقبي الأحداث دعما قويا لقرار عدم التدخل في تلك الفترة، فكتب قائلا:

هنالك سبب جيد، وربما حتى سبب وجيه، لموقف الإدارة، وهو يتعلق بتعريفنا للمصلحة الوطنية الأمريكية في الخليج. هذا التعريف لا يعني مقاومة عامة «للعدوان»... وهذا التعريف لم يعن أبدا وبالتأكيد التزاما بجلب بركات الديمقراطية إلى العالم العربي... فالبدل العسكري غير جذاب، وذلك لأنه سيلزمنا في النهاية بحكم العراق، وما من إنسان متحضر بكامل قواه العقلية يرغب بحكم العراق.

ذلك المراقب كان ايرفنج كريستول (Irving Kristol)، أو من يعرف بأنه «الأب الروحي» للمحافظين الجدد؛ ولكن إذا كان الاقتباس السابق لا يبدو كأنه صادر من أحدهم فذلك لأنه... ليس كذلك. إن تصريح كريستول كان، في الواقع، منطلقا من

هل كان إيرفنج كريستول من المحافظين الجدد؟

واقعية سياسية واضحة، بعيدا تماما عن السياسة المتشددة المؤيدة للتدخل والتي تميز توجهات المحافظين الجدد في أيامنا هذه. لكن ذلك لا يعني أن كريستول، المتوفى في 18 سبتمبر عن عمر ناهز التاسعة والثمانين. ليس من المحافظين الجدد؛ وإنما يدل على المسافة التي تفصل بين مفهوم كريستول عن الاتجاه الذي اخترعه، أو على الأقل: سمّاه وسوّقه، وبين مفهوم من خلفوه.

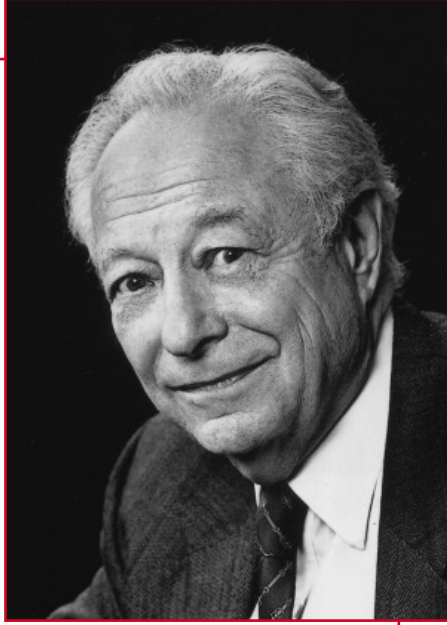
الجيل الأول

في الحقيقة، لم يكن الجيل الأول من اتجاه المحافظين الجدد يعبأ أبدا بالسياسة الخارجية. وكان أعضاؤه الأوائل متطوعين في صراعات مناهضة للشيوعية كرد فعل مضاد للتطور اليساري المعروف بحركة الليبرالية الأمريكية في ستينيات القرن الماضي. وكان هؤلاء المتطوعون مختصين بعلوم الاجتماع والسياسة ممن انتقدوا الإخفاقات والعواقب غير المقصودة لبرامج خطة (المجتمع العظيم) التي أطلقها الرئيس ليندون جونسون¹، وخاصة ما يتعلق منها بالحرب على الفقر. كما شجبوا أيضا التطرف في ما دعاه الكاتب والناقد الأدبي ليونيل تريلينغ (Lionel Trilling) «الثقافة المعادية»، وهي برأيهم ثقافة تمجد الفردية واللذاتية والنسبية. وكان ذلك التطرف قد سيطر على أذهان «جيل طفرة الولادات»² في الجامعات. وبالرغم من أن هؤلاء الناقدين لم يكونوا يؤيدون مبدأ السوق الحر تأييدا أعمى وبقوا مع ذلك ضمن المعسكر الليبرالي، فإنهم لم يشخصوا الحدود الفاصلة بين دولة الرفاهية وسداجة أحلام المساواة غير المحدودة عند اليسار الجديد.

(1) ليندون جونسون (Lyndon B. Johnson) - (1908-1973): الرئيس الأمريكي السادس والثلاثون (1963-1969). استلم الرئاسة بعد اغتيال الرئيس جون كينيدي باعتباره نائب الرئيس. خطط جونسون لمجموعة من برامج الإصلاح الاجتماعي بهدف القضاء على الفقر والتمييز العنصري أطلق عليها (المجتمع العظيم). وتمخض عن ذلك: قانون (الحقوق المدنية) عام 1964 الذي جرم التمييز العنصري، وقانون الرعاية الصحية عام 1965 لتمويل علاج المسنين والعجزة. أرسل القوات الأمريكية إلى فيتنام الجنوبية عام 1965 للوقوف في وجه الزحف الشيوعي. (المترجم).

(2) جيل طفرة الولادات (baby-boom generation): مصطلح يطلق على الجيل الذي ولد بعد الحرب العالمية الثانية في أوروبا وأمريكا. ظهرت أولى ملامح هذا الجيل في ستينيات القرن الماضي. وقد سيطرت عليه أفكار التمرد على التقاليد والرغبة في تغيير العالم. (المترجم).

هل كان إيرفنج كريستول من المحافظين الجدد؟



ايرفنج كريستول

وجد هؤلاء المفكرون متنفسا لهم في صحف مرموقة مثل (كومانترى Commentary) و(ببليك انتريست The Public Interest) اللتان أنشأهما كريستول ودانييل بيل (Daniel Bell) ومولهما وارين ديميان مانشيل (Warren Demian Manshel) الذي ساعد على إطلاق مجلة فورين بوليسي (Foreign Policy) بعد سنوات معدودة. وكانت صفحات من هذه الصحف ميدان تعرض فيه نسخة أكثر حذرا من الليبرالية الأمريكية بأقلام مفكرين من أمثال: ناثان غليزر (Nathan Glazer)، سيمون مارتن

ليبست (Seymour Martin Lipset)، دانييل باتريك موينيهان (Daniel Patrick Moynihan)، جيمس نيلسون (James Q. Wilson)، وغيرهم. وكان هؤلاء محط نقد حلفائهم السابقين في اليسار بحجة كونهم شديدي «الجبين والإذعان». وكان من بين المنتقدين مايكل هارينغتون (Michael Harrington) الذي أطلق عليهم تسمية «المحافظين الجدد» تمييزا لهم عن الليبراليين.

عارض البعض التسمية الجديدة. لكن كريستول قبل بها؛ وبدأ عملية إنشاء مدرسة فكرية من خلال رعاية شبكة من المفكرين ذوي التوجهات المتشابهة (بالأخص ضمن مركز اميريكان انتربرايز American Enterprise Institute) وقوننة معنى اتجاه المحافظين الجدد. وكانت المهمة الأخيرة تحمل التحديات كما تبين في ما بعد. وذلك أن هذا الاتجاه بدا دائما كموقف أكثر من كونه عقيدة. حتى أن كريستول ذاته وصفه بمصطلحات مبهمة من أمثال «الميل» أو «الاقتناع». أضف إلى ذلك أن بعض المفكرين المحسوبين على الاتجاه الجديد كانوا يشكون في وجوده أصلا. حيث قال دانييل بيل ذات مرة: «أعتقد أن ذلك ليس

هل كان إيرفنج كريستول من المحافظين الجدد؟

ما يدعى باتجاه المحافظين الجدد: إنه إيرفنج [كريستول] فحسب». ومهما تكن طبيعة الاتجاه فإنه بدأ بإحداث تأثير كبير في المناخ الأمريكي العام مسائلا الليبرالية في القضايا الاجتماعية ومطورا لأفكار سياسية مبدعة من أمثال قسائم المدارس¹ ومنحني لافر².

الجيل الثاني

وإذا كان الجيل الأول من المحافظين الجدد مكونا من عدة مفكرين من نيويورك مهتمين بالقضايا المحلية، فإن الجيل الثاني تشكل من مسؤولين ديمقراطيين في واشنطن مهتمين بالسياسة الخارجية، وهذا النسل أعطى معظم جينات المحافظين الجدد الحاليين. ولم يكن في ذلك من دور لكريستول إلا على نحو عرضي.

جاءت الموجة الثانية من المحافظين الجدد كرد فعل على تسمية جورج ماكوفيرن (George McGovern) مرشحا للرئاسة عن الديمقراطيين في انتخابات عام 1972. حيث نظر ليبراليو الحرب الباردة إلى ماكوفيرن على أنه من أقصى اليسار، خاصة في ما يتعلق بالسياسة الخارجية، إذ كان من اقتراحاته: إلغاء قسم كبير من ميزانية الدفاع، انسحاب متسرع من فيتنام، واستراتيجية كبرى تنحو نحو الانعزاليين الجدد (Neo-Isolationist). وتجمع الاتجاه الجديد من المحافظين الجدد حول منظمات من أمثال (التحالف من أجل أغلبية ديمقراطية Coalition for a Democratic Majority) و(الجنة الخطر الداهم

1) قسائم المدارس (School Vouchers): نظام لتمويل العملية التعليمية من خلال إعطاء قسائم تعهد بموجبها الدولة بدفع مبلغ من المال يغطي التكاليف الدراسية للتلميذ في المدارس الخاصة في حالة عدم رغبته بالدراسة في المدارس العامة. ويعتبر عالم الاقتصاد الأمريكي الشهير ميلتون فريدمان من المدافعين عن هذا النظام انطلاقا من أن المنافسة بين المدارس تؤدي إلى النهوض بالعملية التعليمية. تعزز هذا النظام في أمريكا بفضل سياسات الرئيسين ريغان وبوش الابن (المترجم).

2) منحني لافر (Laffer Curve): منحني رياضي يستخدم للدلالة على العلاقة بين نسبة الضريبة ومحصلتها النهائية، وبحسب هذا المنحني تكون المحصلة الضريبية النهائية معدومة في حالتين: نسبة ضريبة صفرية (لا ضرائب)، ونسبة ضريبة كاملة (100%) حيث ينعدم الدخل؛ وبالتالي ينبغي أن لا تكون نسبة الضريبة عالية إلى حد تنخفض معه الحصيلة النهائية لها. ينسب هذا المنحني إلى الاقتصادي الأمريكي آرثر لافر، لكنه يرى بأن الفكرة ليست أصيلة وأنها وردت في مقدمة ابن خلدون وكتابات الاقتصادي البريطاني جون كينز. (المترجم).

هل كان إيرفنج كريستول من المحافظين الجدد؟

يمتلكها نورمان بودهوريتس (Norman Podhoretz). وهذا الشخص الغامض ظل مؤيدا لاتجاه المحافظين الجدد باختلاف مراحلهم. وشخصيات من أمثال السيناتور الديمقراطي هنري «سكوب» جاكسون¹ ومنه جاءت تسميتهم الأخرى (ديمقراطيو سكوب جاكسون (Scoop Jackson Democrats).

إن هؤلاء المفكرين، كما هو حال الاتجاه الأصلي، انتقلوا من اليسار إلى اليمين. والكثير منهم، وإن كان ينتمي إلى الحزب الديمقراطي، انتهى به الحال يعمل في إدارة الرئيس ريغان. أما الآخرون فانتسبوا إلى مركز اميريكان انتربرايز ونشروا كتاباتهم في مجلة (كومنتاري) وصفحات مقالات الرأي في صحيفة (وول ستريت جورنال Wall Street Journal). علاوة على ذلك، أصبح بعض أعضاء الاتجاه الأصلي، من أمثال مونيهان، من أعضاء (ديمقراطيو سكوب جاكسون)، وهكذا أصبحت التسميتان عرضة للتبادل وبدا كمثل لو أن الاتجاهان يندمجان.

نجم عن التطور الأخير غض النظر عن الاختلافات الجوهرية بين الاتجاهين. فعلى الصعيد المحلي كان (ديمقراطيو سكوب جاكسون) متمسكين بليبراليتهم التقليدية؛ وبينما كان جاكسون يدعو في سبعينيات القرن الماضي إلى نظام رعاية صحية شامل وحتى إلى التحكم بالأسعار والرواتب في أوقات الأزمات، كان كريستول يدعو إلى اقتصاد متدني الضرائب ويقدم استشاراته في مجال مؤسسات الأعمال وأسس الاتجاه المحافظ. أما في مجال السياسة الخارجية، فقد شدد (ديمقراطيو سكوب جاكسون) على تعزيز الديمقراطية وحقوق الإنسان، بينما كان كريستول واقعيا تقليديا. لكن الاتجاهين اتفقا

1) هنري مارتين جاكسون (Henry Martin Jackson) - (1912-1983): يعرف باسم (سكوب Scoop): عضو في مجلس النواب الأمريكي عن الحزب الديمقراطي (1941-1953)، سيناتور (عضو) في مجلس الشيوخ (1953-1983). عرف بتأييده لزيادة الإنفاق الحربي ومواقفه الصارمة ضد الاتحاد السوفياتي. تجمع حوله عدد من أعضاء الحزب الديمقراطي (ديمقراطيو سكوب جاكسون) وعملوا مع الرئيس الجمهوري ريغان. تركت أفكاره أثرا قويا في العديد من السياسيين الأمريكيين المعاصرين من أمثال: ريتشارد بيرل، دوغلاس فيث، وبول وولفويتز. (المترجم).

هل كان إيرفنج كريستول من المحافظين الجدد؟

على الرغم مما سبق على ضرورة وجود سياسة خارجية ودفعية متشددة في مواجهة الاتحاد السوفييتي.

وأصبحت الاختلافات على أشد ما يمكن أن تكون عليه من الوضوح عند نهاية الحرب الباردة. فمع نهاية «امبراطورية الشر» ماذا ينبغي على الأمريكيين أن يفعلوا؟ هل كان الدفاع وإعلاء راية الديمقراطية وحقوق الإنسان سبب قتال السوفييت؟ أم كان على العكس: مجرد أداة مفيدة في هذا القتال؟ وقف كريستول، والذي كان من أنصار الرأي الأخير، داعياً إلى التحلي بضبط النفس والبراغماتية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، وكان له حوار مع بعض زملائه من المحافظين الجدد قال فيه:

إن التوجه التجديدي في تفكيرنا حول مسائل السياسة الخارجية في هذه اللحظة ينبثق من مجموعة صغيرة نسبياً تتكون من ليبراليين ومحافظين يؤمنون بوجود «مهمة أمريكية» فاعلة من أجل إعلاء الديمقراطية على امتداد العالم. إن هذه فكرة جذابة من الخارج، ولكنها لا تصمد لعدة لحظات من التفكير لإدراك كم هي خالية من المعنى (ومليئة بالافتراضات). فعلى امتداد التاريخ الأمريكي نجحنا في «تصدير» مؤسساتنا الديمقراطية إلى دولتين فحسب: هما اليابان وألمانيا بعد حرب واحتلال؛ وفشلنا في تأسيس ديمقراطية قابلة للحياة في الفلبين أو بنما أو أي دولة من دول أمريكا الوسطى.

يتبع قلة من المحافظين الجدد التوجه الواقعي لكريستول، من أمثال غليزر (Glazer) إلى حد ما. وجين كيركباتريك (Jeane Kirkpatrick)، لكن في ما يخص معظم الباقيين فإن فكرة التقوقع ولعب دور عالمي أكثر تواضعاً تبدو شبيهة على نحو مقلق بالسياسة الواقعية التي أدت إلى التهدئة وغيرها من السياسات غير المفضلة. أما (ديمقراطيو سكوب جاكسون) فقد دعوا إلى وضع أكثر تشدداً وتدخلًا واستمروا بتفضيل تعزيز الديمقراطية ولو بأقل قدر ممكن؛ ومن أشهر هؤلاء: جوشوا مورافشفيك (Joshua Muravchik)، وبين واتينبيرغ

هل كان إيرفنج كريستول من المحافظين الجدد؟

(Ben Wattenberg)، وكارل غيرشمان (Carl Gershman)، ومايكل ليدين (Michael Ledeen)، وإيليو أبرايمز (Elliott Abrams)، ونورمان بودهوريتس، وغيرهم، وكان لتراثهم أن يستمر.

الجيل الثالث

وهكذا ولدت الموجة الثالثة من المحافظين الجدد في أواسط تسعينيات القرن الماضي، واستمدوا إلهامهم من أسلافهم المباشرين. لا من الجيل المؤسس؛ لكنهم قاموا بتطوير أفكارهم في سياق جديد تكون فيه أمريكا ذات قوة نسبية أكبر بكثير. وفي هذه المرة، كانوا مغروسين بثبات في الجانب الجمهوري من الطيف السياسي.

لعب بيل كريستول (Bill Kristol)، ابن إيرفنج، دوراً قيادياً مع روبرت كاغان (Robert Kagan) في بعث الحياة مجدداً في الاتجاه من خلال مبادرتين قام بإطلاقهما: مجلة (ويكلي ستاندارد Weekly Standard) ومشروع القرن الأمريكي الجديد (PNAC: Project for the New American Century) وهو مركز بحثي استشاري صغير. ورفض كريستول الابن وكاغان تسمية (المحافظين الجدد) وفضلوا عوضاً عنها (الريغانيون الجدد neo-Reaganism). لكن علاقتهم بالجيل الثاني (ديمقراطيو سكوب جاكسون) لا يمكن إنكارها. وكان بينهما تشابه كبير في ما يخص الأنماط التنظيمية والتأثير على الرأي العام، وأدى هذا إلى التصاق تسمية (المحافظين الجدد) بهم.

إن المعتقدات الأساسية للجيل الثالث معروفة على نحو جيد بعد أن انبثق الاتجاه بمقال كتبه كريستول الابن وكاغان في مجلة فورين أفيرز (Foreign Affairs) عام 1996، ونشره أيضاً مركز (PNAC)، وذاع صيته مؤخراً بعد مبادرة السياسة الخارجية. وتنص هذه المعتقدات على أن القوة الأمريكية قوة من أجل الخير؛ وأن الولايات المتحدة ينبغي أن تشكل العالم كي لا يتشكل بمصالح القاهرة؛ وينبغي أن تقوم بذلك لوحدها عند الضرورة؛ وأن الخطر يكمن في فعل أقل القليل لا أكثر الكثير؛ وأن توسع الديمقراطية يؤدي إلى تقدم المصالح الأمريكية.

هل كان ايرفينغ كريستول من المحافظين الجدد؟

لكن ماذا كان رأي ايرفينغ كريستول حول هذه المبادئ وتطبيقها؟ بينما كان كريستول الأب يقضي نهاية عمره حاول أن يعرف موقعه بالنسبة إلى معظم الجيل الثالث. فاحتج عام 2003 بأنه لا توجد «جملة من الاعتقادات لدى (المحافظين الجدد) في ما يخص السياسة الخارجية. وإنما جملة من المواقف» (بما في ذلك مبدأ الوطنية ورفض الحكومة العالمية). وخط من أهمية تعزيز الديمقراطية. ولكن مركز هذا الاتجاه في هذه المرحلة بدأ أكثر وضوحاً في تأييد التوجه التدخلية والثقة بالقدرة على إحداث تغيير (ديمقراطي) من خلال استخدام القوة الأمريكية مقارنة بما يتقبله كريستول الأب. لقد بقي كريستول الأب صامتا خلال الاجتياح الأمريكي للعراق بينما هلّل لذلك الجيل الثالث و(ديمقراطيو سكوب جاكسون).

وهكذا يكون من المثير للسخرية ما يكرره معظم الناس من أن ايرفينغ كريستول هو «الأب الروحي للمحافظين الجدد». فهم يفترضون أنه كان من (المحافظين الجدد) بالمعنى الحديث. ولكن هذا يتجاهل ما اعتقد به من سياسة خارجية واقعية. كما إنه يشوش على التراث الفكري والسياسي المدهش الذي تركه في القضايا المحلية.